

حضارة وادي النيل :-

يعد الشرق مهد الحضارة ومنه تطورت الكتابة والتي بدورها دونت تاريخ الامم وفيه اوجدت اولى الابداعات المادية في عالم الفنون والرياضيات والاجتماع والعمارة ،واوجدت اولى الاديان الروحية .

ويؤكد الاستاذ (طه باقر) في كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) المجلد الثاني "لعل اول ما يجلب انتباه الباحث في حضارة مصر القديمة، ان ابرز عنصر فيها (الفن) فقد بلغ مرحلة باهرة من النضج في عهد قديم جدا من عهود الحضارة المصرية وهو عهد المملكة القديمة"(٤،ص١٣٥).

ان حضارة وادي النيل قد وصلت درجة من التقدم والازدهار اذ تبين ان المعمارين والرسامون والنقاشون المصريون كانوا يتمتعون ببراعة فائقة في العمل وحسن الاتقان اذ يمكن ملاحظة ذلك عن طريق الرسوم والنقوش المزينة بها المتاحف المصرية (٣،ص٧٧_٧٨).
لقد احتفظت الحضارة المصرية بالطابع الاصيل الفذ دون ان يلاحظ أي تغير او تبديل على الرغم من الغزو الاجنبي التي تعرضت له وعلى الرغم ايضا من ان الشعوب الاخرى استقرت على ارضها فوجد ان للحضارة العربية تعضيد لهذه الافكار والتصورات (٧،ص١٧).
مرت الحضارة المصرية بثلاث مراحل :-

١.الدولة القديمة (٢٨٥٠- ٢٠٥٢) ق.م

٢.الدولة الوسطى (٢٠٥٢- ١٦٧٠) ق.م

٣.الدولة الحديثة (١٥٧٠ - الى بداية الالف الاول) ق.م.

ازدهرت مصر في المرحلة الاولى منها في جميع مرافئ الحياة من تجارة ، علوم ، ادب، فن وخاصة في عهد الملك (زوسر) * ، وتعد اهرام السقارة من اروع ما صنع في تلك الفترة وكان الفنان (ايمتحب) من قام بصنعها وهي في فترة حكم الاسر الثالثة اما في فترة حكم الاسرة الرابعة فكان الطابع الديني السمة الغالبة فانشات المعابد وزخرفت الجدران اما الاسرة الخامسة والسادسة شهدت مصر القمة في الرقي والتقدم والازدهار(٣،٧٨). فبعد المرحلة الاولى جاءت المرحلة الثانية او ما تسمى بالمملكة الوسطى ،شهدت مصر وخلال هذه الفترة اعلى درجات التقدم والازدهار فشيدت معابد الاقصر وبروز فن النحت ومن المنحوتات التي تمثل مشاهير

* زوسر: احد ملوك مصر القديمة ،اهتم بالفن والفنان ولاقى الفنان في عهده الرعاية والاهتمام والتمجيد كاله، للمزيد ينظر: (٣،ص٧٨).

هذه السلالة راس (امنحيت) الثالث من حجر الديوريت الاسود وتمثال (سنوسرت) الثالث الضخم (٤، ص ١٤٠).

وفي خصوص هذا الجانب هناك بعض الاسئلة التي قد تطرح لذا كان من المفترض ملاحظتها والاجابة عليها، هل تعد حضارة وادي النيل من اولى الحضارات في الشرق الاوسط ولماذا؟ بلغت مصر مرحلة من التطور والابداع، في أي فترة وفي أي مجال من مجالات الحياة العامة. هل كان للدين اثر على فكر الفنان وبالتالي على اعماله الفنية، برز فن النحت وظهرت عدد من المنحوتات اذكرها وفي أي عهد لقي الفن مزيدا من الرعاية والاهمية .

يتضح ان الفن وتطوره والثقافة في مصر القديمة قد مر باطوار عديدة ووصل الى ما وصل اليه في هذا العهد واصبح فن النحت من ابرز ما يميز هذه الفترة ، اذن الفن عامة موجود في بلاد وادي النيل، لكن السؤال يتركز هنا على نقطة واحدة، هل عرف المصريون القدامى المسرح ام ان المسرح بدعة اغريقية ؟ وللاجابة على هذا السؤال يقول ،الدكتور (علي نور) في كتابه (ملاحم مصرية في المسرح الاغريقي) "هذه قصة هيلين التي كتبها يوربيديس قبل الفين واربعمئة عام، مثلت اول مرة في اثينا ثم في كثير من عواصم العالم القديم والحديث، ومسرح القصة ارض مصر، في جزيرة فاروس، قبل ان تنشأ الاسكندرية بحوالي الف عام" (١١، ص ٨٣).

اذن من هذا الراي نعلم ان المسرح كانت بدايته الاولى في مصر القديمة مؤكدا ذلك الدكتور في كتابه السابق الذكر وبهذا يقدم لنا ولادة جنين ويمكن ان يطلق عليه بجنين الدراما لان ولادته الاولى كانت في بلاد وادي النيل ومن ثم انتقل الى الاغريق.

ويقول (الحكيم) في هذا الصدد "هناك اصوات عديدة تؤكد بان المسرح نشأ في مصر معتمدين بذلك على النقوش والمدونات والبرديات والتي يطلق عليها جزافا النصوص المسرحية ومنها انتقل الى الاغريق" (٣، ص ٨٠).

ومن المناصرين لهذا الراي (أيليا الحاوي) اذ يذكر ان المصريين قد عرفوا المسرحية وذلك في اسطورة (اوزيريس)* اذ تعد الاسطورة البداية الحقيقية لظهور المسرح ممثلة امام الجمهور كما في المسرح الاغريقي وكانت تمثل في اربعين مشهدا وهي بهذا تعد انموذجا للعمل الذي انتقلت به الملحمة الى المسرح (٢، ص ١٤).

فكان المسرح المصري القديم مقتصر على الاحتفال الطقسي وما يتضمنه من حوار وانشيد ورقصات فكان يجمع ما بين النص الشعري الابهالي الصادر من الاحساس بروح

* اسطورة اوزيريس: قصة تعود الى اسرة مصرية قديمة كانت كبيرة المغزى وكان رجال الدين يقومون بالتمثيل للمزيد راجع: (٩، ص ١٤).

الاشياء والغناء استجابة للقوى العليا في النفس اما الرقص فكان اداة للمعانة ويتم تجسيده عبر الحركة والايقاع (٢، ص١٦).

ويرى (عبد العزيز) اصبح لطقوس (اوزيريس) اهمية كبرى لدى المصريين فكان الحكام والكهنة هم انفسهم من يقومون بعملية التمثيل مصورة بذلك عالم النشور ما بعد الموت (٧، ص١٤-١٥).

بخصوص هذا الراي بالذات علينا التوقف قليلا والنظر بتمعن وملاحظة ان التمثيل الطقسي الديني كان يقام في المعابد فاسطورة (اوزيريس) لم يكتب لها التطور لانها لم تخرج من المعبد الى الشارع وبقي رجال الدين هم الممثلين لاغيرهم على الاطلاق .

ام ما جاء على لسان (المحامي) اذ يذكر عرف المصريون القدامى المسرحية منذ عام ٣٠٠٠ق.م في قصة (ايونيس واوزيريس) وابنه (حورس) واستمرت تمثل الى القرن الخامس ق.م، اما احداث القصة فتتمحور حول قضية البحث والانتقام وهنا يتركز ببحث (ايونيس) عن جثة اخيها وزوجها (اوزيريس) بمساعدة الابن (حورس) المنتقم من (ست) اله الظلام المتسبب في قتل والده (١٠، ص٧) .

وقد عبر السيد (الزيدي) عن رايه في كتابه (المسرحية العربية في العراق)، اذ نفى صفة المسرح عن الاحتفال الطقسي وما هو الا نوع من التمثيل الديني وانه لم يتطور ويصبح مسرح شبيه باليونان والرومان لا من قريب ولا من بعيد (٥، ص٢٠).

وضمن هذا المنطلق لابد من القاء نظرة على بقية الآراء الداعية الى وجود مسرح مصري قديم اذ ان (نور، الحكيم، الحاوي، عبد العزيز، المحامي) قد اكدوا على موقف واحد لا غير اذ تبينت ارائهم عن مدى ايمانهم العميق لتلك التفسيرات التي جاءوا بها، فالجميع يؤيد فكرة المشاهد التمثيلية ولهذه المشاهد جذور تاريخية دينية وشعبية فالتمثيل الديني الطقسي في السلالات المصرية القديمة موجود وما تمارسه من طقوس ونشاطات دينية على شكل حوارات شعبية ذات مغزى ومضمون فكري تقام في الاحتفالات العامة والمناسبات الكبرى وامتيازها بالطابع الديني مما ساعدها على نشوء بعض عناصر التمثيل الديني التي مارسها بعض العامة. وهذا النمط التمثيلي الضيق الافق بعض الشيء، وعليه وبعد سقوط الدولة الوسطى اصبح الدين المدافع الاول عن مصالح الامة فاخذت النشاطات والممارسات الشبه المسرحية تمثل داخل المعبد، والكهنة هم الممثلين انفسهم ومن ثم الانتقال الى خارج المعبد* والتمثيل امام الجمهور وبعد تطوره شيئاً فشيئاً اصبح هناك ممثلين محترفين فضلا عن ادوات العرض الاخرى والمتمثلة بالرقص والغناء ، وبما ان المادة الاولى للمسرح كانت الاساطير وباعتبارها مادة خصبة والمنبع

* للمزيد ينظر: (٩، ص١٤-١٥).

الزائر للرفد الكتاب المسرحيين بهذا النشاط المسرحي الرائع معتمدين على اسطورة واحدة فجاءت اسطورة (اوزيريس) بعناوين مختلفة منها اسطورة(ادونيس وعشتروت)** . اذن هناك تشابه كبير جدا ما بين الحضارة الاغريقية والرومانية من جهة وما بين حضارة وادي النيل من جهة اخرى فالكل اعدوا الظاهرة الدينيوسية البداية الفعلية لظهور المسرح وظهره للوهلة الاولى في مصر القديمة شيء مؤكد توثقه الوثائق ثم انتقل بعد ذلك الى الاغريق.

وضمن هذا المنطلق تضافرت عدد من المحاور والاسئلة ومن الواجب التطرق عليها ومعرفتها، ظهر عدد من الاراء حول ظهور المسرح في مصر فعلا ام لا، وما هو رايك في ذلك ولماذا ، وما هو الدليل على ذلك ؟ هل تعد الاسطورة البداية الاولى لنشوء المسرح ام لا، وهل يمكن القول ان المسرح في تلك الفترة يشبه الاحتفال الطقسي ولماذا، والى أي من الاسباب يمكن ان تعول عدم تطور المسرح في ذلك الوقت، وهل هناك تشابه فعلا فيما بينه وبين نشأة المسرح الاغريقي والروماني ام لا؟

المصادر

١. العلي ، صالح احمد، وآخرون، العراق في التاريخ ، بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٣.
٢. الحاوي، ايليا، اسخيلوس والتراجيديا الاغريقية، سلسلة اعلام المسرح الغربي، بيروت : دار الكتاب اللبناني، مؤسسة الخليفة للطباعة، ١٩٨٠.

** ادونيس وعشتروت: ادونيس اوتومز اله الجمال يعشق عشتروت ويحبها حبا جما، اما عشتروت فكانت تمثل رمز الخصب والتناسل، للمزيد راجع: (٢، ص١٢).

٣. الحكيم، توفيق، تاريخ المسرح، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ١٩٧٩ .
٤. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المجلد الثاني، ج٢، بغداد: من مطبوعات دار المعلمين العالية، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٥٦
٥. الزبيدي، علي، المسرحية العربية في العراق - محاضرات القاها على طلبة قسم الدراسات الادبية، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٦٦.
٦. لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين - مختارات من النصوص البابلية، ت: الاب البير ابونا، وليد الجادر، تعريف: الاب البير ابونا ، وليد الجادر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، بغداد: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨
٧. عبد العزيز ، سعد ، الاسطورة والدراما، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٦٦.
٨. سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم - موجز التاريخ الحضاري، وزارة التعليم العالي والبحث العالمي، جامعة الموصل، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٣.
٩. الدسوقي، عمر، المسرحية نشاتها وتاريخها واصولها، ط٣ ، دار الفكر العربي، ١٩٦٢.
١٠. المحامي، محمد عبد الرحيم عنبر، المسرحية بين النظرية والتطبيق، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦.
١١. نور، علي، ملاحم مصرية في المسرح الاغريقي، وزارة الثقافية، المؤسسة المصرية العامة للطباعة، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت.